باب الصناعة

نسج القطن في مصر

سيدي المفضال محرّر « المقتطف »

اتذكر اني اطلعتُ في احد اعداد « المقتطف » التي صدرت في هذه السنة على وعدٍ منكم بالكلام التفصيلي على كيفية تنفيذ فكرة « نسج القطن في مصر » مبشّرين القراء بانهُ غير مستحيل تحقيق الفكرة · وانّ في تحقيقها خيراً عظيماً للقطر · هذا ما علق بذهني واكاد اكون شبه متأكد من اطلاعي عليهِ في مجلتكم الغراء · ولولا ذلك لما بتُّ اترقب كل عدد من « المقتطف » بفارغ الصبر آملاً ان يكون فيهِ ما وعدتم بهِ · غير ان طول انتظاري جعل الملل يتسرّب الى نفسي فاحببتُ ان اكتب لكم مذكّراً ومستفهماً · واستصوبتُ قبل ان ابدأ بالكتابة أن أراجع ما عندي من اعداد المقتطف وهي تُربي على اثني عشر عدداً فادهشني اني لم اجد فيها اقل اثر لهذا الوعد الذي انسبهُ اليكم كما يشترك في نسبتهِ غيري من اصحابي الذين اطّلعوا عليهِ في حينهِ

ولستُ ادري بعد هذا اذا كنت أنسب لكم ما لا أصل لهُ · او انّ ذاكرتي تمثّل لها البعيدُ قريباً بمعنى انكم ذكرتم هذا الوعد منذ اكثر من سنة او سنتين وقمتم بوفائهِ في عدد لم اطلع عليهِ · وعلى كل حال اكون مديناً لكم اذا تفضلتم بارشادي الى الحقيقة · راجياً ان لا تخرج هذه الحقيقة عن احد شيئين وهما : اما انكم حقيقةً ذكرتم هذا الوعد وقد قمتم فعلاً بوفائهِ · واما انكم لم تنجزوهُ حتى الآن لكثرة مشاغلكم ولكنكم عازمون على ذلك قريباً

وكيفما كان الواقع فمثل مجلة « المقتطف » حرية بالمطالبة بطرق باب هذا البحث الاقتصادي العظيم · وبعدم اغفال امثالهِ من المباحث النافعة التي يمكن بواسطتها تنمية ثروة الامة واعدادها للاستقلال المالي سواء كانت تلك المباحث زراعية او صناعية او تجارية كما انها خليقة بان لا ينوبها البحث العملي اكثر من البحث النظري وان تكون فائدة المصلحين الاجتماعيين والاقتصاديين في الامة · فلا تكتفي بتقديم الاقتراحات بل تعمل على شرحها شرحاً عملياً وافياً وتتوسع في ذلك كل التوسع حتى تقتل الهمم الضعيفة وتشجع النيورين على

الاقدام على انفاذ المشروعات النافعة الكبيرة ما داموا يرون امامهم في « المقتطف » نوراً قوياً واساساً عملياً جديراً بالاعتماد عليه والثقة بقوته وامانته

والشيء بالشيء يذكر لعلكم سمعتم عن مشروع « الغرفة التجارية المصرية » واطلعتم على ما كتبته بعض الصحف الاوربية بهذه المناسبة عن مستقبل مصر الاقتصادي . فلعلكم لا تحرمونا من كلام مستفيض في فوائد الغرف التجارية وان لا تبخلوا بشيء من نصائحكم الشديدة في هذا الموضوع . وان تبينوا خلاصة احسن نظام وبرنامج للغرف التجارية الراقية لينتفع بذلك القائمون باصلاح حالة التجارة الوطنية المصرية كما ينتفع كثيرون من محبي الاستفادة

لا يخفى عليكم ان مجلتكم غير قاصرة على طبقة الخاصة وان طلبة العلم واهل الحرف الحرة من مشتركيكم يهمهم جداً ان يطلعوا على بياناتكم في كل موضوع جليل يدخل في دائرة مجلتكم لا بصورة تنبيه بل بصورة شرح وتدريس

هناك غير مشروع « الغرف التجارية » مشروع « النقابات الزراعية » ومشروع « النقابات الصناعية » على انواعها . ومشروع « مصرف وطني » وغير ذلك . وكلها تحتاج الى عناية كبرى منكم وبحث مستفيض حتى يقتنع الفرد العادي بالفائدة من كل ذلك . ولا أدلّ على تلك الفائدة من ان تبينوا تاريخ هذه الاعمال في الامم الراقية وما نشأ عنها من النعمة والثروة لها ببيانات وارقام مضبوطة . وان تعلقوا على ذلك آراءكم ونصائحكم . وغرضي من كل هذا ان تأخذ مجلة « المقتطف » وظيفة المعلّم العملي بكل معنى الكلمة . (وهي ما لم توفها الحق الذي يليق بها للآن) بجانب وظيفة المعلم النظري التي لا شائبة من ان « المقتطف » قد وفّاها اكثر من حقها

ثم اسمح لي يا سيدي ان ألاحظ ان القسم الزراعي والصناعي في مجلتكم ضئيل بالنسبة للقسم العلمي . واني لا انكر ان لكم اعذاراً وجيهة في ذلك ولكن تفتني باقتداركم وتقديري لخدم العظيمة التي يقوم بها المقتطف يدفعني ان اقول انهُ آن لكم ان تحاولوا لاجل المصلحة العامة توسيع القسم الزراعي والصناعي وترقية تحريرهما ولكم الحق الكامل بما للمقتطف من الايادي على الامة المصرية ان تطالبوا الحكومة علناً بمساعدة مالية في سبيل ذلك . وان تطالبوا متعلمي الامة بفتح اكتتاب لهذا السبيل . ولا اقصد بهذا تبرعاً من الناس بلا مقابل (ولو حدث ذلك لما كان فيهِ مؤاخذة لان المقتطف اصبح اثراً تاريخياً في الامة ويجب صونهُ واجلالهُ . كما انهُ اصبح قوة من اعظم القوى الاصلاحية فيها ولذلك يجب العناية بتعهدها وتهذيبها وتنميتها) بل اقصد الاكتتاب على سبيل الاشتراك . والقيمة التي تُدفع في المقتطف

لا تساوي عُشر فوائدهِ ولذلك اعدّ من الخطل استعمالي لفظة « اكتتاب » في هذا المعنى

هذا موضوعٌ فرعي جنحتُ اليهِ لرغبتي في ان يزداد نفع « المقتطف » وان يكون قوة فعّالة في الامة. وحبذا لو عُنيتم بذكر ما ترونهُ اصلح من الوسائل التي تؤدي الى تكبير حجمهِ وزيادة عدد مباحثهِ وتوسيع نطاق ابوابهِ الحالية. ليكون منهُ النفع المرغوب فيهِ. ثم اعود للموضوع الاصلي فارجو ان يحوز سوّالي قبولكم. واذا لم ينل هذا القبول فلعمري لستُ ادري أية صحيفة في مصر اقدر من « المقتطف » على درس علل الامة الاقتصادية. وشرح وسائل الاصلاح وقيادة الرأي العام المصري نحو الاستقلال المالي

لندن مصري

[المقتطف] تشكركم على حسن ظنكم بالمقتطف وقدره هذا التقدير واذا جرى كل اخوانكم طلبة العلم في اوربا مجراكم في الاهتمام بمصالح القطر المصري الحقيقية دون سواها لم تمرّ عليهِ عشر سنوات او عشرون سنة حتى ينال اكثر ما يبتغيهِ من الرقي الصحيح. ولو اطلعتم على الاثنين والاربعين مجلداً التي صدرت من المقتطف الى الآن لوجدتم اننا لم نترك باباً من الابواب التي اشرتم اليها الاّ ولجناهُ غير مرة وتكلمنا فيهِ بالاسهاب تارةً بالحث والترغيب وطوراً بنشر الفصول المحوالية في كل ابواب الزراعة والصناعة حتى لقد انتطف احد اصدقائنا من المقتطف كتاباً كبيراً في الصناعة طبعهُ ونشرهُ واكثر ما فيهِ منقول عن المجلدات العشر الاولى. ولو جمعت الفصول الزراعية التي نشرناها لملأت بضعة مجلدات وكثير منها ومن الفصول الصناعية عملٌ مبني على ما عملناهُ او جربناهُ بيدنا. وهاكم فصلاً مداره الترغيب في الصناعة نشرناهُ منذ ٢٤ سنة

« افتتحنا السنة الثانية عشرة بمقالة موضوعها " مدارس الزراعة ومجامعها " شرحنا فيها احوال تلك المدارس في اوربا واميركا وما جناهُ الاوربيون والاميركيون من تفهها عسى ان نغري بعض القراء الكرام بالاقتداء بهم. واننا مستفتحون هذه السنة الرابعة عشرة بشرح وجيز لمصادر الصناعة ومواردها وتسابق الممالك في مضمارها عسى ان نغري اهل الوطن باقتفاء آثارهم فان التمثّل بالكرام فلاحٌ. والحقائق حريّة بالذكر ولا بدّ لها من نفع عاجل او آجل ولذلك لا نضنّ على المقتطف بحقيقة نطّلع عليها آملين ان نجد بين الالوف من قرّائهِ من يصيخ اليها سمعاً فينتفع بها وينفع غيرهُ

« من يجُل في اسواق المشرق ويتفحص البضائع التي فيها يجد اكثرها وارداً من اوربا واميركا. وما صُنع منها في المشرق من مثل المراجل النحاسية والادوات الحديدية قد جلبت

موادهُ من أوربا ايضاً مسبوكةً مهيأةً . والحال الحاضرة طرأت على البلاد من عهد غير بعيد فقد عاش اجدادنا ولم يروا شيئاً من بضائع اوربا وعاش اجدادهم واسواق اوربا غاصةٌ بمصنوعاتهم والدهر في الناس قُلَّب

« ومن يلتفت الى اهتمام الاوربيين بالصناعة واناطة خدمتها برجال السياسة ورجال العلم و بذلهم النفس والنفيس في سبيل اتقانها وتوسيع نطاقها وترخيص ثمن المصنوعات وتسابقهم الى عرضها على تجار المشرق واميالهم اياهم بالثمن اشهراً بل سنين واهتمام الدول نفسها بامر الصناعة والتجارة حتى كأنها لم توجد الاَّ لترويج بضائع رعاياها ثم يلتفت الى اهمالنا نحن واحتقارنا للصناعة والصنَّاع وابتعادنا عن كل ما يأول الى اتقانها واتساع نطاقها وارتباطنا مع دول اوربا بمعاهدات دولية تقضي علينا بترويج بضائعهم وتكبيد بضائعنا — من يلتفت الى ذلك كله يحكم انهُ قد قُضي علينا باهمال الصناعة ابد الدهر وانها لن تقوم لها قائمة عندنا. ولكن التسرُّع في الحكم اقرب الى الخطإ منهُ الى الصواب فهلمَّ بنا ايها الباحث ننظر في تاريخ الصناعة الحديث عسانا ان نهتدي الى ما ينبئنا بمستقبلها في بلادنا

« اقبل القرن التاسع عشر وممكلة فرنسا تازفة الدماء باثرة الصناعة وايطاليا والمانيا خائرتا القوى مقطَّعتا الاوصال من غزوات بونابرت وحروبهِ المتوالية وليس في اوربا كلها الاَّ بريطانيا العظمى مالكة البحار مستمرَّة في جزائرها مستغنيةً بهاجرها فنهضت الصناعة فيها نهضة جبَّار لم ترَ مثلهُ العصور الخالية وفي اقل من سبعين سنة (اي من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨٧٨) زاد الفحم الحجري المستخرج سنوياً من مناجمها من ١٠ ملايين طن الى ٣٨٠ مليون طن وزادت سفنها التجارية ثلاثة اضعاف ومُدَّ فيها خمسة عشر الف ميل من السكك الحديدية وبلغت ثروة اهاليها حدًّا لم تبلغهُ ثروة أمةٍ أخرى قبلهم فانفقوا على الاعمال الصناعية الف مليون ومئة واثني عشر مليوناً من الجنيهات . ولكنَّ ضعفت فرنسا لم يكن لبيتها و بلادها من اخصب البلدان وشعبها من اشد الشعوب نشاطاً واكثرهم اقداماً فالتأمت جراحها حالاً وتقاطر عمَّالها الى مدائنها فهبَّت صناعتها بعد سباتها وناظرت الانكليز في مصنوعات كثيرة . والآن تُقدَّر المصنوعات الصادرة من بلادها بقيمة نصف المصنوعات الصادرة من بلاد الانكليز. واتخذت المانيا خطواتها ولاسيما بعد الحرب الاخيرة وعزَّزت الصناعة بالعلوم الطبيعية والكيماوية والهندسية وفي ممتازة بها على غيرها من الممالك فاستغنت عن مصنوعات الانكليز بل صارت مناظرةً لهم في اسواق المشرق لان معاملها ابتدأت حيث انتهت معامل منشستر ولفربول بعد اختبار مئة عام. والآن دخلت روسيا في ميدان الصناعة

على جواد لا يعرف المثار وابتدأت في صناعتها حيث انتهت انكلترا والمانيا اي انها استخدمت احدث الآلات والادوات واكثرها اتقاناً . وفي عزمها ان تستغني عن بضائع انكلترا والمانيا وتكتفي بمصنوعات بلادها . واتتدت بها النمسا والمجر وايطاليا واسبانيا والهند والبرازيل والمكسيك . وكل هذه الممالك قد نهضت في هذه الايام ورحبت بالصناعة واحلتها محل الكرام . وسبقتها الى ذلك الولايات المتحدة الاميركية فضاهرت بمصنوعاتها ممالك اوربا كلها . وهاك تفصيل ذلك مبتدئين من مملكة الروس لانهُ كان يظن انها بلاد زراعية محضة لا يرتجى تقدم الصناعة فيها

« كان في بلاد روسيا الوسيعة وفي بولندا التابعة لها سنة ١٨٦١ نحو اربعة عشر الف معمل بين صغير وكبير وقيمة ما يصنع فيها في السنة ٢٩٦ مليون روبل فصار عدد المعامل بعد عشرين سنة ٣٥١٦٠ معملاً وقيمة ما تصنعهُ في السنة ١٣٠٥ ملايين روبل . ولم يزد عدد الصناع منذ سنة ١٨٧٩ الى الآن زيادة تذكر ولكن مصنوعاتهم تضاعف مقدارها وهذا يدلُّك على اتقانهم للصناعة واستخدامهم احسن الآلات والاساليب الصناعية . هذا في المعامل الكبيرة واما المعامل الصغيرة المتعلقة بالزراعة فحدِّث عنها ولا حرج لانها انتشرت في كل البلاد وصار عدد المشتغلين بها سبعة ملايين فاكثر وقيمة مصنوعاتهم في السنة اكثر من مئة وثمانين مليوناً من الجنيهات . وحول موسكو وحدها من الحاكة الصغار ما يبلغ ثمن منسوجاتهم اربعة ملايين جنيه ونصف مليون في السنة . وحتى الآن لم تعسر روسيا في غنى تام عن بضائع الانكليز والالمانيين ولكن احتياجها اليهم يقلُّ سنة بعد اخرى فقد كانت قيمة الوارد اليها من البضائع الانكليزية سنة ١٨٧٢ نحو ١٦ مليوناً وثلث مليون من الجنيهات فهبطت سنة ١٨٨٤ الى ١٣ مليوناً ونصف مليون . والسبب الاكبر لتقدُّم الصناعة في روسيا انها وضعت مكوساً فاحشة على البضائع الاجنبية فاضطرَّ اصحاب المعامل الكبيرة من الانكليز والالمانيين ان يتركوا بلادهم ويأتوا بلادها ويشئوا المعامل فيها تخلُّصاً من المكوس فتقدمت صناعة البلاد وقلَّ طلبها للبضائع الاجنبية . ويقال انهُ لو زالت الآن المكوس الفادحة واطلقت حرية التجارة ما كان ذلك ليضعف صناعة روسيا اذ قد رسخت قدمها في البلاد ومواردها كثيرة فيها وابواب الرزق واسعة والاجور رخيصة لانها بلاد زراعية ولا ترخص الاجور الاَّ اذا كثر الطعام في البلاد ولا يشبع الفلاح الاَّ من خير ارضهِ . ويقال انهُ اذا زاد المشتغلون بالصناعة ثلاثة اضعاف فالبقية كافية لزراعة البلاد

« وبلاد المانيا دخلت ميدان الصناعة منذ عهد حديث ولكنها تأهَّبت لهُ بالعلوم

والمعارف فغازت بالسبق في بروسة وجيزة فانهُ لم يكن يرد الى بلادها منذ خمس وعشرين سنة سوى ٨٣٠٠ طن من القطن ولم يكن يصدر منها سوى ٨٣٠ طنًا من النسج القطنية فبلغ الوارد اليها سنة ١٨٨٤ مئة وثمانين الف طن من القطن والصادر منها ٢٥ الف طن من النسج القطنية و ٢ الف طن من النسج الصوفية . وكان عدد مغازل الكتان في اوربا سنة ١٨٨٤ مليونين وسبع مئة الف وفي المانيا وحدها ثلثمئة الف مغزل وفيها الآن ٨٧ الف نول لنسج الحرير وقيمة منسوجاتها الحريرية تسعة ملايين جنيه في السنة ولا يفوقها في هذه الصناعة الا فرنسا . وقد انتشرت بضائع المانيا في الدنيا وناظرت بضائع انكلترا في كل الاسواق ولاسيما لانها ارخص من البضائع الانكليزية وناظرت بضائع فرنسا في اسواق فرنسا نفسها

« اما فرنسا فقد ملكت زمام تربية القز ونسج الحرير واشتهرت مدينة ليون بحل الحرير وصبغهِ ونسجهِ ثم ضُرب دودها بالضربة المعروفة فاضطرت ان تجلب الحرير المحلول من ايطاليا واسبانيا والنمسا وبر الاناضول وبر الشام وبلاد اليابان وكان الحرير الوارد اليها سنة ١٨٧٦ نحو احد عشر مليونًا من الارطال (المصرية) نسج كلهُ في مدينة ليون وما جاورها فاغنى الصناع بثمنهِ ولكن لم تكن هذه الصناعة لتنحصر في ليون ولا في فرنسا فانشئت لها معامل كثيرة في المانيا وسويسرا وايطاليا وبعد ان كانت قيمة الصادر من منسوجات ليون ٤٦٠ مليونًا من الفرنكات صارت ٢٣٣ مليونًا . ويقال ان نصف المنسوجات الحريرية التي تستعمل الآن في فرنسا تُجلب اليها من الخارج من ايطاليا وسويسرا ونحوها بل ان روسيا نفسها لكاد تستغني عن منسوجات فرنسا الحريرية لان معامل بلاد القوقاس تنسج حريرًا يفوق في رخصهِ حرير فرنسا وقد اشتدَّ الضيق على الحاكة في مدينة ليون سنة ١٨٨٤ حتى كادوا يموتون جوعًا لو لم تطعمهم الحامية من جرايتها

« وقد كانت قيمة واردات فرنسا سنة ١٨٨٦ نحو ٢٠٥ ملايين جنيه وقيمة صادراتها نحو ١٧٠ مليون جنيه وزيادة الوارد على الصادر دليل قاطع على انحطاط صناعة فرنسا عما كانت عليهِ

« والصناعة في النمسا والمجر حديثة العهد ولكنها قد نجحت نجاحًا عظيمًا فبلغ مقدار مصنوعاتها سنويًا مئة مليون جنيه . وكل الآلات والادوات التي فيها من احدث ما اخترع واستُنبط الى عهدنا هذا والمعامل مضاءة بالنور الكهربائي . ومن ادلة تقدمها ان واردات البلاد بلغت منذ سنتين نحو ٥٤ مليون جنيه وصادراتها نحو ٩٧ مليون جنيه

« وايطاليا لم تحجم عن ميدان الصناعة بل ازجت جوادها بعزيمة الايطالي ومن اول اغراض رجالها ان تستقل بنفسها عن كل الممالك وتسترجع مجدها الاول . ومما يدل على تقدم الصناعة فيها في السنين الاخيرة انها استوردت من الفحم الحجري سنة ١٨٧١ المثل من ٧٨٠ الف طن وسنة ١٨٨٤ اكثر من مليونين وتسع مئة الف طن . وزادت المعادن المستخرجة من مناجمها في الخمس عشرة سنة الاخيرة ثلاثة اضعاف وصنعت من الفولاذ والآلات الحديدية ما ثمنهُ ثلاثة ملايين جنيه وكان الوارد اليها من القطن الشعر سنة ١٨٨٠ نحو ٢٩٠ الف قنطار فبلغ سنة ١٨٨٥ نحو ٦٠٠ الف قنطار وكان فيها مليون مغزل سنة ١٨٧٧ فبلغ عدد مغازلها سنة ١٨٨٥ مليوناً وثماني مئة الف

« وبرازيل البعيدة عن مركز التمدن كان المظنون عند علماء الاقتصاد انها ستبقى ابد الدهر مثل مصر تزرع القطن وتبعث بهِ الى اوربا وتجلب المنسوجات منها . ومنذ عشرين سنة كان فيها ثلاثة معامل صغيرة فيها ٣٨٥ مغزلاً اما الآن فقد صارت معاملها ٤٦ معملاً وفي خمسة من هذه المعامل اربعون الف مغزل . وينسج فيها كل سنة ثلاثة وثلاثون مليون يرد من المنسوجات القطنية

« ولندع بلاد المغرب عند هذا الحد لئلاَّ ندخل الولايات المتحدة بلاد الغرائب ولنتقل راجعين الى المشرق الى بلاد الهند التي كان الانكليز يعتمدون عليها في تجارتهم ولاسيما في بيع منسوجاتهم القطنية فانها كانت تبتاع منهم في السنة باكثر من عشرين مليون جنيه اما الآن فقد انشأت المعامل لنفسها ووسعتها فنسجت سنة ١٨٦٦ نحو ٢٣ مليون رطل من القطن الشعر ثم زاد ذلك رويداً رويداً حتى بلغ ما نسجتهُ سنة ١٨٨٦ مئة واربعة وثمانين مليون رطل وكان فيها اولاً نحو ٨٨٦ الف مغزل فصار فيها اكثر من مليونين وسبعة وثلاثين الف مغزل وكان فيها ٨٥٣٧ نولاً فصار فيها ٦١٥٩٦ نولاً . ولا مانع يمنعها عن مزاحمة كل ممالك اوربا في اسواق الدنيا الاَّ قلة راس المال فيها وقلة انتشار المعارف ولكن اغنياء الارض يرسلون اموالهم حيث ترجح الارباح الطائلة والعلم لا وطن لهُ فينتشر في كل مكان تعدُّ لهُ فيهِ الوسائط واهل الهند من الحذق الطبيعي في الصناعة على جانب عظيم كما تشهد مصنوعاتهم كلها

« وسيرى ابناؤنا مخازن الهنود والبضائع الهندية منبثَّة في اسواق مصر والشام ان لم يتنبه القطران من غفلتهما . نعم ان الزراعة قسمة القطر المصري ونعم القسمة ولولاها ما عاش فلاَّحهُ ولا استطاعت البلاد ان تقوم بحمل الدَّين الذي عليها ولكنَّ الصناعة يجب ان

لا تموت فيهِ لاسيما وان فروعاً كثيرة منها يمكن ان تنجح فيهِ وتغنيهُ عن غيرهِ . واما القطر السوري فالحديد والفحم الحجري كثيران فيهِ وهما عماد الصناعة وكذلك الحرير والزيت والصفاتير الطبية وفيهِ خلفاء الفينيقيين الذين غصَّت اسواق المسكونة بمصنوعاتهم واختزلت سفائنهم البحار الشاسعة وانهال المال عليهم انهيال السيل . ولو كان امم الارض في غفلة كما كانوا في العصور السالفة لهان علينا ان نسابق صنَّاعهم وتجَّارهم اما وقد جعلوا اتقان الصناعة وتوسيع التجارة غرضهم الاول الذي يحشدون لهُ الجنود ويبثُّون لهُ البوارج فلن نجاريهم الاَّ اذا جعلت الحكومة ذلك غرضها الاول وصعت اليهِ باسبابهِ وشأنها في ذلك شأن كل رجل حكيم يدفق مئة ليربح الفاً

« هذا ويحق للمقتطف ان يقف وقفة من خبر حال البلاد وعرف مطالبها مدة اربع عشرة سنة وقامم صنَّاعها البحث والتنقيب عن اسالب الصناعة ومكنوناتها ويشهد ان في البلاد عقولاً ذكية وهممًا عليَّة وايادي لا تعجز عن عمل وصبراً لا يعرف الملل . ولكنَّ الجواد يكبو حيث تكثر المعاثر والصارم ينبو عن دلاص المغافر . وقد علمت ان صنَّاع اوربا واميركا وهم ارباب الصناعة وولاة امرها يستجدون بحكوماتهم على تذليل الصعاب ورفع ما يحول دون ترويج بضائعهم من العقاب ولو بغزو الممالك واقتحام المهالك فلن نجاريهم بل لن نعيش في جوارهم ما لم نهبَّ جميع عناصر الوطن وتواصل السهر بعين لا تعرف الوسن

وكيف تنام الطيرُ في وكناتها وقد نُصبت للمفرقدين الحبائلُ

« وقد اخبرنا حضرة ناظر المعارف العمومية صاحب السعادة علي باشا مبارك انهُ اعدَّ المعدَّات لمدرسة صناعية في مدينة المنصورة وفي نيتهِ ان يجعلها مقدمة لمدارس اخرى تنشأ على شاكلتها فحمدنا الخبر ورجونا عود الصناعة الى هذا القطر والعود احمد . ولكنَّ ذلك لا يسدُّ كل حاجة البلاد بل لا بدَّ من تسهيل السبل ايضاً لاصحاب الاموال حتى ينشئوا المعامل كما أُنشئ معمل تكرير السكَّر في مصر ومعمل الورق في سورية فان العمل من هذه المعامل يقوم بالوف من العملة العاملين فيهِ مباشرةً كالعمال انفسهم او غير مباشرةٍ كجالبي المواد الاصلية وناقلي المصنوعات وبائعيها . وانَّا لعلى ثقة ان اولياء امورنا يأخذون بيد كل من يسعى في ادخال الصناعة الى البلاد فلا يحجمنَّ احدٌ عن هذا المسعى المشكور ولا يتوقفنَّ الاَّ النجاح باذن الله وهو على كل شيء قدير » انتهى

هذا ما كتبناهُ منذ اربع وعشرين سنة . اما صناعة غزل القطن ونسجهِ فغير ممنوعة في القطر

المصري الآن ولكنها متيدة اذا كانت في معامل كبيرة بدفع رسم يساوي رسم الجمرك على المغزولات والمنسوجات الواردة من الخارج لسبب سياسي لا محل للبحث فيهِ في المقتطف . ولكن لو زال هذا القيد أكنا نشير بانشاء المعامل الكبيرة لغزل القطن ونسجهِ : هذه مسألة فيها نظر . ونقول من باب تجاري انهُ لو رُفع هذا القيد وانشأ احد الوطنيين او غيرهم معملاً للغزل والنسج في مصر وجعل رأس مالهِ اسهماً وعرضها للبيع لم تشترِ سهماً منها لعلمنا ان الغرش من رأس المال لا يصفي نصف غرش والمرجح انهُ لا يربح شيئاً . واسباب ذلك كثيرة بعضها كان معروفاً من قبلُ وبعضها لم يكن معروفاً . فمن الاسباب المعروفة اولاً ان القطن المصري غالي الثمن فلا تصنع منهُ الاَّ المصنوعات الغالية وهذه لا سوق لها في القطر المصري ولا يحتمل انهُ يستعمل منها فيهِ في السنة ما ثمنهُ مئتا الف جنيه نصفها مصانعة ونصفها ثمن قطن فكل ما يستعمل فيها من القطن المصري عشرون الف قنطار وهي ليست شيئاً مذكوراً في بلاد يزيد موسمها او ينقص مليون قنطار في السنة الواحدة

ثانياً اذا كثرت المعامل وكثرت منسوجاتها يتعذر علينا ان نناظر منسوجات انكلترا في اسواق الهند مثلاً او في اسواق اوربا واميركا لان ليس عندنا سفن تجارية لنقل بضائعنا . ونقلها بالسفن الاوربية يكلفنا اكثر مما يكلف الانكليز نقل بضائعهم فتعود منسوجاتنا علينا بالخسارة

ثالثاً ان انشاء المعامل الكبيرة يقتضي رأس مال كبيراً ولا بدَّ من جلب رأس المال من اوربا واما ان نستدينهُ نحن ونستعملهُ او يقدمهُ الاوربيون ويتاعون اسهم المعامل بهِ فاذا جاءت هذه المعامل بربح لا بخسارة فربحها للذين قدَّموا رأس المال

رابعاً ان اربح معامل الغزل والنسج في اوربا واميركا لا يزيد ربحهُ لاصحاب رأس المال على ستة في المئة ونحن اذا استدنا المال لانشاء هذه المعامل وبلغ ربحها اعظم ما يبلغهُ في اوربا واميركا بعد دفع ضريبة الجمرك لم يزد على الربا الذي ندفعهُ للذين نستدين منهم المال هذا اذا ربحنا شيئاً

خامساً انهُ يستحيل ادارة المعامل من غير قوة مائية او بخارية والقوتان معدومتان في القطر المصري حيث يحتمل اقامة معامل الغزل والنسج وجلب الفحم الحجري من اوربا يذهب باكثر الربح

سادساً ان العمال الذين يعملون في المعامل لا يكتسبون منها الاَّ القوت الضروري والغالب ان اصحاب المعامل يقيمون لهم دكاكين الى جانب المعامل فيها مواد الطعام والشراب

واللباس فالذي يأخذهُ العامل من المعمل اجرة يعطيهِ لاصحاب هذه الدكاكين فيعيش ليعمل ويعمل ليعيش من يدهِ الى فمهِ . وعمّال المعامل اسوأ الناس حالاً لان الواحد منهم لا يتقن الاَّ فرعاً واحداً من العمل فلا يستطيع ان يستقل بهِ كالعامل الصغير الذي يعمل في بيتهِ او دكانهِ

هذه الامور او العقبات كنا نعلمها قبلاً فلا نشجع على انشاء معامل الغزل والنسج الاَّ لتربيح فرق الجرك ثم ظهرت عقبة اخرى كؤود كان لها اليد الطولى في ابطال معمل الغزل والنسج الذي انشئ في القاهرة فوق ضريبة الجرك وهي جفاف الهواء وتولد الكهربائية بكثرة بين الياف القطن فيدفع بعضها بعضاً لانها مكهربة من نوع واحد وتتطاير في المعمل فتغل ايادي العمال وتسد انفاسهم فاضطرَّ مديرو المعمل ان يطلقوا البخار فيهِ دواماً لترطيب هوائهِ وتقليل تولد الكهربائية فيهِ فلم يفلحوا على ما بلغنا واخيراً افلس المعمل وخسر المشتركون فيهِ اموالهم ونحن منهم

ولا نذكر اننا كتبنا شيئاً في المقتطف عن زوال القيد المشار اليهِ آنفاً ولا نحن من المستحسنين لهُ ولا هو بالشيء الوحيد في روابط القطر المصري السياسية التي لا نستحسنها بل نود انحلالها عاجلاً او آجلاً

اما غزل القطن ونسجهُ في المعامل الصغيرة كما في المحلة الكبرى فلا قيد عليهِ وهو صناعة قديمة في القطر المصري ويجب ان تنشَّط بكل واسطة ممكنة هي ونسج الصوف والحرير وكل الصنائع البيتية او التي يعملها عمّال مستقلون وتحتاج البلاد اليها وتغنيها عن المصنوعات الاجنبية واذا زاد منها شيء وارسل الى البلاد المجاورة كسورية والسودان فيها ونعمت . ويظهر لنا ان البلاد سائرة في هذا السبيل ولو ببطء

اما تكبير المقتطف حتى يسع كل ما يراد نشرهُ من المواضيع الاقتصادية التي اشرتم اليها فنحن نفكر فيهِ الآن فاما ان نقدم عليهِ في السنة المقبلة او التي بعدها ولا يؤخرنا عنهُ الآن الاَّ قلة وجود الكتَّاب الذين تثق كتاباتهم بالمراد . لان من اكبر العقبات عندنا ان الذين يحسنون الكتابة في المواضيع الاقتصادية قلما يحسنون الانشاء العربي او الكتابة التي لا تنبو عنها آذان المتعلمين . والذين يحسنون الانشاء قلما يستطيعون الكتابة في هذه المواضيع . ونرجو ان يقوم منكم ومن امثالكم من يتناول منا القلم الذي مرَّ عليهِ في يدنا اكثر من اربعين سنة قبل ان يحم الاجل فيسقط من لفمهِ